الفصل الثالث

التلفيق بين الفلسفة والدين
أو ما يسميه المؤلف (التوفيق بين الفلسفة والدين)

التوفيق بين الفلسفة والدين مولود غير شرعى :

حيث نشأ ذلك من الافتراض الزائف للثنائية بين العقل والإيمان التى لا وجود لها فى الإسلام ؛ وإنما هى وليدة ظروف الصراع بين العقل والدين المسيحى كما رأينا . وكانت النتيجة كما وصفها رامبورانت (فلسفة دينية ، لا هى فلسفة محضة ، ولا هى دين خالص) . ولذلك عارض الفلسفة علماء السلف وعلماء العصر الحديث[1] .

كيف بدأت محاولات التوفيق بين الفلسفة والدين :

أرَّخ المسعودى : لانتقال مجلس تعليم الفلسفة من أثينا إلى الاسكندرية وإلى أنطاكية، ثم إلى حران أيام المتوكل، ثم انتهى أيام المعتضد إلى قويرى ويوحنا بن جيلان ، ثم إلى أبى نصر محمد بن محمد الفارابى تلميذ يوحنا بن جيلان ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٣٣٩ هـ . ولا أعلم فى هذا الوقت أحداً يرجع إليه فى ذلك إلا رجلا واحدا من النصارى) (التنبيه

---

(١) نفسه ص ١٥٦ .

والإشراف ص ١٠٥ ، ١٠٦) كما قال ابن كثير اثناء ترجمة حياة الفارابى (... كان حاذقا فى الفلسفة . ومن كتبه تَفَقَّه ابن سينا . وكان يقول بالمَعَادْ الروحانى لا الجثمانى : ويخص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة . وله مذاهب فى ذلك يخالف فيها المسلمين . فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين .. ولم أر الحافظ بن عساكر ذكره فى تاريخه لنتنه وقباحته والله أعلم) . البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٢٤ .

ويرى الدكتور جبور عبدالنور أن الفارابى لم يأخذ آراءه عن أفلوطين،وإنما أخذها عن الحرانيين.وينتهى إلى أنه (لم يكن مسلماً إلا فى الظاهر،وإنما كان وثنى الأصل والنشأة) ينظر كتاب محمد رشاد سالم مقارنة بين الغزالى وابن تيمية ص ٩٩/١٠٠[٢] .

ويقول جارودى:إذا كان الكندى قد بذل محاولات للتقريب بين الفلسفة والدين،إلا أن الفارابى تعدى ذلك إلى محاولة المصالحة والتوفيق (هذا التوفيق الذى راحت الفلسفة اليونانية من خلاله تتسلل شيئا فشيئا إلى الإسلام لتغير من طبيعته وتحرفه عن جوهره)،أما ابن سينا فقد استوحى نظرية الفيض من (الأفلاطونية الجديدة) الواردة بكتاب « اللاهوت » المنسوب لأرسطو . ونظريته عن الفيض هذه هى الضربة القاتلة لفلسفته،لأنها (تعارض وتناقض تماما المفهوم القرآنى عن الخلق)[٣] .

ويذكر د . محمد إبراهيم الفيومى أن محاولات التوفيق بين الفلسفة والعقيدة الإسلامية قد فشلت،للتعارض الجذرى بين التصورات الفلسفية الوثنية وعقيدة التوحيد . وقد عارضهم علماء الاسلام بمنهج عقلى وأدلة شرعية . لذلك لا ينبغى أن نتهم الفكر الإسلامى بأنه وقف ضد العقل عندما وقف ضد مظاهر تقديس الفلسفة وروح المغالاة والوثنية)[٤] .

ويقول د . مصطفى حلمى أنه يحق لنا بهذه المناسبة المطالبة بالكف عن الترويج لآراء هؤلاء الفلاسفة بمناهج الدراسة الجامعية وغيرها . وأن نستبدل بهم العلماء والمفكرين الذين نبغوا وأبدعوا فى العلوم الإسلامية.وحجتنا فى هذه الدعوة تستند إلى أنه بالمقارنة بين الفارابى وعلماء عصره،نجد أن الفارابى محدود الأثر بين العشرات بل المئات من الفقهاء والعلماء الآخرين فى الطب والفلك وغيرهم . وهؤلاء الفقهاء والعلماء هم الرواد الحقيقيون للحضارة الإسلامية[٥] .

ويقول أحمد أمين (أرى أن الفلاسفة لم يمسوا حياة المسلمين الواقعية . وأنهم فى فلسفتهم كانوا كالمفوضية اليونانية فى بلاد المسلمين لا تمس مصالح الأمة التى تقيم فيها)[٦] .

---

(٢) الإسلام والمذاهب الفلسفية د . مصطفى حلمى ص ١٤٨ .
(٣) نفسه ص ١٤٩ .
(٤) نفسه ص ١٤٧ .
(٥) نفسه ص ١٤٧ .
(٦) نفسه ص ١٤٦ .

إخفاق الفلسفة فى مجالى العلم والدين:

أولا : إخفاق الفلسفة فى مجال العلم الإلهى (الدين) :

يرجع ذلك الإخفاق إلى جهل الفلاسفة بالدين وإنكارهم للوحى الذى يمدنا بحقائق عالم الغيب . ومن يقارن بين أباطيل الفلسفة العقلية وما جاء به القرآن الكريم من الإخبار عن الغيب من الملائكة والجن والجنة والنار وغيرها لا يخفى عليه ما جاءت به الفلسفة من أباطيل . فليس معهم إلا الظن ﴿ وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾ . ثم يتساءل ابن تيمية : أنترك الكتاب ونلجأ إلى أمثال أرسطو وذويه كابن سينا وهم يرددون دعاوى مجردة بلا نقل صحيح ولا عقل صريح . ويصف ابن تيمية تصورات البشر بأنها قاصرة وتعجز عن التوجيه الكامل لشئون الحياة سواء فى العقيدة أو السلوك أو الأنظمة الاجتماعية . حيث لا يكتمل هذا كله إلا للدين الإسلامى لأنه المنهج المبرأ من عوامل العجز البشرى ولأنه من لدن حكيم خبير عليم ، ولأنه المنهج الشامل الكامل المنبثق من الحقائق الكونية الأصيلة المستقرة الجذور . وهو الذى يشبع تطلعنا للمعرفة ويأخذ بيدنا إلى طريق سعادة الدارين . ومن مظاهر جهلهم بالعلم الإلهى ادعائهم بأن العالم العقلى أو المعقول الخارج عن العالم المحسوس هو عالم الغيب ..

عالم الغيب ليس هو العالم العقلى : عالم الغيب الذى أخبرت به الرسل ليس هو العالم العقلى الذى يثبته الفلاسفة ويردون به على الطبيعيين منهم الذين لا يثبتون إلا العالم الحسى . والعالم العقلى أو المعقول هذا والخارج عن العالم الحسى والذى يدعونه ليس هو عالم الغيب . لأن العالم العقلى المزعوم ليس له وجود إلا فى العقل . لأن العقل يجرد الأمور الكلية عن المعينات، فى حين أن عالم الغيب له وجود فعلى ثابت يشاهد ويحس،ولكن بعد الموت . وممكن أن يشاهده فى الدنيا من يختصه الله بذلك . وهى أمور ليست عقلية قائمة بالعقل كما يدعون(٧) .

مصادر المعرفة فى الإسلام ثلاثة: (العقل والحس والتقوى)

أما العقل والحس وحدهما كطرق للمعرفة،فإن الإسلام يعتبرها باطلة ما لم يكن الله تعالى معها ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾،فالتعلم لا يتم إلا بقدرة الله،لذلك يجب أن نستعين بالعقل والحس،ولكن بعد أن نستعين بالله . ولا يغتر أحد بعقله أو حسه . وبذلك نعصم أنفسنا من الزلل والزيغ والضلال . أى أن الباحث الإسلامى لابد له من أمرين،الأول هو

---

(٧) نفسه ص ١٥٧ .

الاجتهاد فى البحث بالحس والعقل ، والأمر الثانى هو الاجتهاد فى العبادة والصدق فيها، حتى يهدينا الله إلى الحق واليقين ﴿ والذين جاهدو فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين ﴾ .

كما أن المعرفة الحسية والمعرفة العقلية عند المسلمين سواء . بعكس ما تدعيه الفلسفة اليونانية من أن المعرفة الحسية أقل درجة من المعرفة العقلية،وأن المعرفة الحسية قاصرة على السذج من الناس . وهذا ناتج عن اعتقادهم الفاسد فى قدم العالم وقدم المعرفة العقلية . وقولهم بأننا نولد مزودين بمعرفة صفات الأشياء الأساسية وأن هذه المعرفة ثابتة والحقيقة غير ذلك لقول الله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ . بل إن المسلمين يعتبرون الحواس كالسمع والبصر من أجل نعم الله علينا .

ثانيا : إخفاق الفلسفة فى المجال العلمى : يكاد يتفق مؤرخو الفلسفة على أن العلم لم ينهض فى مطلع العصر الأوربى الحديث إلا بعد الثورة المزدوجة على السلطة العلمية ممثلة فى المنطق الأرسطى،والسلطة الدينية ممثلة فى رجال الكنيسة . أما الحضارة الإسلامية فقد ازدهرت بفضل القرآن الكريم الذى فتح الآفاق أمام المسلمين للنظر فى الكون والنفس والتاريخ،وأمدنا بتقريرات كاملة عن الخالق جل شأنه،ومنشأ الكون وأصل الإنسان ومصيره . وحثنا على الأخذ بأسباب خلافة الإنسان لله تعالى فى الأرض . وفى هذه النقطة يكشف محمد إقبال عن سبق المسلمين لمعرفة المنهج التجريبى،حيث يقول : (إن ابن تيمية نقض المنطق الأرسطى نقضاً علمياً منظماً فى كتابه « نقد المنطق »،إذ بين فيه أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين . وهكذا أقام ابن تيمية المنهج التجريبى القائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله وليس التفكير النظرى المجرد[٨] .

ولذلك فإن رواد الحضارة الإسلامية لم يشتتوا جهودهم فى البحث فيما وراء الطبيعة،لأن الكلمة النهائية قيلت بالوحى،وعلى البشرية أن تنصت وتذعن وتصرف جهودها فى أداء دورها .

ومن الأدلة على صلة الإسلام بالعلم ما يلى :

١ – ما قاله عبدالله أليسون من أن القرآن الكريم أخبر عن أنباء لا تعلم إلا بمرور الزمن ﴿ لكل نبأ مستقر ﴾ أى يستقر فيه المعنى ويتجلى فيه،لقوله تعالى أيضا ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ . أى فيه أنباء الآن أنتم لا تعلمونها ولكنها ستتجلى لكم بعد حين . ومن أمثلة ذلك تجاربه وبحثه العلمى حول علاقة الموت بالنوم . وقد كانت آيات القرآن أهم مصادر بحثه فى قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ واستخدم فى هذه التجارب جهاز (كيريلين) الذى يصور الها لة حول الجسم . وذلك بعد

(٨) نفسه ص ١٥٩ .

تصميم عدة تعديلات لهذا الجهاز . مما أفاده فى إثبات وجود علاقة وثيقة بين ما أسفرت عنه هذه التجارب وما جاء به القرآن الكريم والحديث النبوى . وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ﴾ أى أن هذه الآيات التى كانت مسموعة لمن قبلنا أصبح الكثير منها لنا مشاهداً(٩) .

٢ - ما أثبته العلم التجريبى من عقيدة المسلمين فى الإيمان باليوم الآخر : فقد اتفق العلماء على أن الأثير تسجل فيه الأقوال ولا تنمحى. فضلا عن تسجيل الأعمال كلها بالموجات الحرارية الصادرة عن الأجسام . فقد ثبت قطعيا أن الموجات الحاملة للأصوات تبقى كما هى فى الأثير إلى الأبد . وسلم العلماء نظريا بإمكان إيجاد آلة التقاط أصوات الزمن الغابر كما يلتقط المذياع الأصوات التى تذيعها محطات الإرسال . وأنه يمكن سماع تاريخ كل عصر بأصواته . ومن هنا لا تبقى حقيقة الآخرة بعيدة عن القياس ولذا فإن كل ما ينطق به الإنسان يسجل وهو محاسب عليه يوم الحساب ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ .

كما أثبت العلم الحديث أن جميع أعمالنا التى نباشرها فى الضوء أم فى الظلام تصور . بعد أن أثبتت البحوث أنه يصدر عن كل الموجودات حرارة بصفة دائمة فى كل مكان وفى كل الأحوال . وأمكن تصوير الموجات الحرارية بآلات تصوير دقيقة . والمغزى المعتبر من هذا الاختراع هو إثبات أن جميع تحركاتنا تسجل على شاشة الكون، حيث لا يسعنا منعها أو الهرب منها لأنها أشبه بقصة تصور فى الأستوديو ثم نشاهدها على شاشة السينما بعد حقب طويلة من الزمن، وحينئذ يصرخ الإنسان ﴿ ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها ﴾(١٠) .

ومن هنا نقول إن الإسلام نجح مع العلم التجريبى فى حين أخفقت معه الفلسفة . فالتجارب العلمية تثبت وتصدق ما جاء به القرآن من جوانب غيبية كالإيمان باليوم الآخر . ولاشك أن عقيدة الإيمان بهذا اليوم لها أثرها الهام . فالفرق كبير بين إنسان يؤمن بالبعث والحساب والعقاب فى الدار الآخرة وإنسان آخر لا يؤمن بذلك(١١) .

هل فى الإسلام فلسفة ؟

وهل يمكن للمسلمين أن يبدعوا فلسفة ؟ هذا السؤال قد اصطنع اصطناعاً . لأنه يقصد التفلسف على النمط الغربى أو اليونانى بنظرته المتعالية والمعتزة بعنصريتها . والسؤال

---

(٩) الإسلام والمذاهب الفلسفية . للدكتور مصطفى حلمى ص ١٦٢ ، ١٦٣ .
(١٠) نفسه ص ١٩١ .
(١١) الإسلام والمذاهب الفلسفية . د . مصطفى حلمى ص ١٩٠ ، ١٩١ .

الصحيح ينبغى أن يكون كما يلى : (هل الإسلام يخاطب العقل أم لا ؟) وبذلك نصحح منهج الدراسة الفلسفية عند المسلمين[١٢] .

وباختصار : فإن محاولات التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين قد ألبسها الفارابى وابن سينا وابن رشد أثوابا إسلامية فى وقت ثبت فيه أن هناك صلة وثيقة بين هؤلاء الفلاسفة والصابئة عبدة الكواكب . فمثلا نظرية الفيض عند ابن سينا والتى أخذها من اليونانيين تدل على ذلك . وغير ذلك من الأدلة التى سنسوقها أثناء استعراضنا للآثار السيئة للفلسفة اليونانية على حياتنا الفكرية وذلك فى الموضوعات التالية .

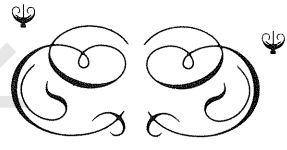

(١٢) نفسه ص ٨ .

obeikandl.com